# واشنطن إلى «المنطقة الجنوبية» مع شركائها:
# فصل درعا عن دمشق

عملت كل من تل أبيب وعمان على سيناريوات مختلفة للجنوب السوري. كان ينقص الدولتين غطاء «استراتيجي» في ظلّ «المظلّة الروسية» فوق دمشق. أخيراً بدأت واشنطن إعادة بناء استراتيجية جديدة في المنطقة بالتعاون مع إسرائيل والأردن. ومن جبهة الجنوب السوري، تتقاطع مصالح هؤلاء لتثمر خططاً جاهزة لمناطق آمنة وقواعد «مدنية» وعسكرية تقطع بين العاصمة وخاصرتها الجنوبية

**إيلي حنا**

قبل العدوان الأميركي على مطار الشعيرات يوم الجمعة، كانت عمان وتل أبيب تضعان اللمسات النظرية الأخيرة على مشروعهما لإقامة منطقة آمنة في الجنوب السوري.

هذه المنطقة التي ظلّت أسيرة حسابات سياسية وعسكرية عدّة، فُكّت بعض «طلاسمها» أخيراً في زيارتَي الملك الأردني عبدالله الثاني ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لواشنطن. سمع الزائران من مضيفهما دونالد ترامب كلاماً إيجابياً عن طرحهما، وعن استعدادات لتدخّل مباشر في الجنوب السوري. والأخير كان قد تعهّد قبيل تنصيبه رسمياً (2016/12/15) بإنشاء مناطق إنسانية آمنة في سوريا، مطالباً دول الخليج بتمويل هذا المشروع.

الملك الأردني عرض، خلال اللقاء، رؤيته للواقع العسكري والسياسي في الجنوب، وعاود تذكيره بحديثه عن إقامة منطقة آمنة، مبدياً استعداده للتدخّل جواً وبراً بدعم أميركي (ضمن التحالف الدولي).

تل أبيب، بدورها، تلحّ وتعمل جاهدةً لتحقيق هذه المطالب أيضاً، بينما السعودية تبحث عن فرصة لتقوية نفوذها في الجنوب. وهي عرضت (على هامش القمة العربية) على الملك الأردني تمويل الحملة وتحمّل نفقاتها. وفي هذا السياق، تفيد الإشارة إلى بيان البيت الأبيض في 29 كانون الثاني الماضي، بأنّ الرئيس ترامب طلب من الملك سلمان بن عبد العزيز «المساعدة في دعم تأسيس مناطق آمنة في سوريا واليمن، وأن الملك وافق، وذلك خلال اتصال هاتفي بينهما».

أما مبرّرات نتنياهو لإنشاء هذه المنطقة وفق ما ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية بعد «عدوان الشعيرات» بساعات، فهي «منع إيران وحزب الله من أن يكون لهما موطئ قدم في المنطقة»، مشيرةً إلى أن نتنياهو «يناقش الخطوة مع إدارة ترامب والجهات الدولية الفاعلة». ولفتت إلى أنّ رئيس الحكومة يسعى إلى أن تكون المناطق العازلة «جزءاً من أي اتفاق مستقبلي لإنهاء الحرب في سوريا».

**الترجمة على الأرض**

في ظل هذا الحراك الأميركي ـ الإسرائيلي ـ السعودي ـ الأردني، يجري العمل على توحيد الفصائل الجنوبية ودعمها على نحو أفضل، بهدف تشكيل منطقة يديرها المسلحون، إضافة إلى إدارة مدنية تستنسخ تجربة الشمال السوري، وفيها تُنشئ واشنطن قواعد عسكرية على غرار مناطق سيطرة «الوحدات الكردية».

كذلك، فإنّ فكرة التدخل العسكري الأردني مع قوات عربية حاضرة ضمن الخطط، إذ توافقت عمان مع الرياض منذ مدة على ذلك، كما يلاحظ حراك عسكري مُكثف على طول الحدود الأردنية ـ السورية (سرت تقارير أمس عن وصول مدرعات أميركية إلى منطقة المفرق الأردنية المواجهة لمحافظة درعا، وأخرى عن انتشار قوات خاصة أردنية وأميركية على الحدود من ناحية محافظة السويداء). والهدف، حسب مصادر سورية، هو تقسيم الجنوب تمهيداً لإقامة «حالة فيدرالية». وأشارت المصادر إلى تواصل الاجتماعات الأمنية والعسكرية لمناقشة هذه الخطط، ويحضرها قادة الفصائل المسلحة وضباط أميركيون. وتبيّن منذ مدة، حسب المصادر، أنّ «القوات الأميركية تُعزّز وجودها في القواعد الجوية الأردنية».

وأضافت المصادر إنّه سيتمّ زج الفصائل بمعركة كبيرة ضد الجيش السوري قبل بدء تحرّك القوات الأردنية والخليجية المدعومة أميركياً تحقيقاً لهدف تقسيم الجنوب وفصله عن الدولة السورية. وعند بدء التحرك العسكري، تتابع المصادر، تدرس واشنطن خطة نقل طائراتها لمقاتلين جواً لتنفيذ عمليات إنزال في مناطق خلف نقاط الجيش السوري ليتم قطع طريق الإمداد إليها وحصارها. وحسب معلومات الجيش وحلفائه، فإن الخصوم يبحثون فكرة الإنزال في مناطق شرق السويداء وقرب بلدة خربة غزالة لقطع الطريق الدولية بين دمشق والسويداء ودرعا.

وتشير هذه المصادر إلى تحضير الفصائل الجنوبية هجوماً كبيراً على درعا المدينة من محاور عدة من حي المنشية. وتدعم هذه العملية حراك عسكري من نصيب (شرق مدينة درعا قرب الحدود) وطفس (شمال غرب المدينة)، «وقد بدأوا أيضاً بإدخال العناصر والسلاح من طريق جديد يبدأ من قرية قرب مدينة الرمثا الأردنية باتجاه طريق السد، ومنه نحو طفس وقرى مجاورة لدرعا المدينة، وآخر من قرية الطرة الأردنية نحو القرى المحيطة بمدينة درعا»، حسب المصادر.

مصدر آخر أفاد «الأخبار» سابقاً قبل لقاء عبدالله ـ ترامب، بأنّ القرار الأميركي بالتصعيد جنوب سوريا تم اتخاذه، و«الزيارة بحثت الأفعال وكيفية ترجمتها ميدانياً».

في هذا السياق، لا تزال الفصائل الجنوبية («النصرة» و«الحر») تخوض معارك شرسة مستمرة منذ ما يقارب الشهرين في حيّ المنشية. وتشير المصادر إلى «الإصرار الكبير جداً للدخول إلى المدينة من جهتها الجنوبية... ورغم خسائرهم الكبيرة، إلا أنهم يعاودون المحاولة دائماً».

كذلك، بلغت مصدر ميداني في درعا إلى أنواع الأسلحة المستخدمة في معارك المنشية «المختلفة عن المرات السابقة»، حيث تُستخدم أعداد كبيرة من القذائف وصواريخ «غراد» على المدينة، وعلى منطقة أزرع وطريق دمشق ـ درعا.

**«استعراض» في حوض اليرموك**

الهجمات التي نفذتها «الفصائل الجنوبية» على مناطق «داعش» في حوض اليرموك كانت أقرب إلى «الاستعراضات الإعلامية» كما يصفها مصدر ميداني. وأضاف المصدر إنّ «الفصائل قادرة على القيام بهجومات أقوى بكثير، وهذا ما أثبتته عمليات المنشية، فلم نشهد في معارك حوض اليرموك هذا الثقل العسكري الذي رأيناه في المنشية». ويرى أنّ قدرات «جيش خالد بن الوليد» ليست كبيرة إلى درجة تمنع الفصائل الجنوبية مجتمعة من مواجهة مبايعي تنظيم «داعش»، ولكن «هناك من هو مصرّ على إظهار الجيش الحر والفصائل الأخرى غير قادرين على المواجهة، وذلك لاستغلال هذه الورقة لاستجلاب تدخّل خارجي، وصولاً إلى الضغط نحو إقامة منطقة آمنة».

> **تدرس واشنطن خطة نقل مقاتلين جواً لتنفيذ عمليات إنزال**

## عمان وتل أبيب «لن تتسامحا» مع نفوذ إيران

في مقابلة مع صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية، على هامش زيارته لواشنطن قبل أيام، أعرب الملك الأردني عبدالله الثاني عن قلق بلاده من تزايد النفوذ الإيراني في منطقة الجنوب السوري. وفي معرض رده على سؤال حول ما إذا كانت الهيمنة الإيرانية ستبقى في سوريا ما بعد معركة الرقة، قال إن «هناك محاولة لإقامة صلة جغرافية بين إيران والعراق وسوريا وحزب الله في لبنان. وقد أثّرت هذا الموضوع مع الرئيس (الروسي فلاديمير) بوتين، الذي كان على علم تام به... وإن نية إيران الاستراتيجية أن يكون لها نفوذ هناك».

وأضاف حول نظرة بلاده لوجود قوات إيرانية قرب حدودها الشمالية، إن «الحرس الثوري يبعد حوالى 70 كيلومتراً (عن الحدود). إذا كانت تلك أخباراً سيئة بالنسبة إلينا، يجب أن تنظر إلى المعادلة الإسرائيلية في هذا».

وتابع: «لقد كنا صريحين جداً مع الروس، وكذلك كان الإسرائيليون، بأن الجهات الفاعلة غير الحكومية من الخارج (غير السورية) القادمة نحو حدودنا لن يتم التسامح معها. وأعتقد بأننا توصلنا إلى تفاهم مع الروس».

في سياق متصل، حضرت مخاوف إسرائيلية من نوع آخر، نتجت من القرار الروسي بوقف التنسيق الجوي مع الولايات المتحدة. ورأى هرئيل أنّه «ليس من الواضح بعد ما إذا كان تعليق التنسيق هذا سيشمل إسرائيل، رغم أنه ليس جزءاً من التفاهمات مع الولايات المتحدة. لكن من المحتمل، أن بوتين الذي غضب من تصريحات نتنياهو ضد الأسد سيرغب في الإثبات لترامب بأنه سيكون للمسّ بحليف روسيا أبعاد على حلفاء الولايات المتحدة، ولذلك قد يجمد أو يلغي التفاهمات مع إسرائيل. وإذا كانت هذه هي النتيجة، يعني ذلك أن الحرب في سوريا ستضع إسرائيل على خط النار السياسي وليس العسكري فقط، حين تجد نفسها في تناقض للمصالح بين سياسة ترامب وحاجتها إلى مواصلة التنسيق مع روسيا».

في الإطار نفسه، حذّر يوني بن مناحيم، المختص بالشؤون العربية، من تداعيات إعلان روسيا تعزيز سوريا بمنظومات دفاع جوي، ورأى أن ذلك «من شأنه أن يكون له انعكاسات خطيرة على إسرائيل في حال حصول سوريا على منظومات دفاع جوي، من طراز (أس ـ 400)، والتي ستعرّض سلاح الجو الإسرائيلي للخطر».

إلى ذلك، حذّر معلق الشؤون العسكرية في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، أليكس فيشمان، من أن يدفع العدوان الأميركي الرئيس الأسد «إلى خطوة متسرعة... لذلك فإن كل عمل ستقوم به إسرائيل خلال الفترة القريبة على الحدود الشمالية سيأخذ في الاعتبار أن الرئيس الأسد سيحاول إنقاذ كرامته. يبدو أن هذا هو سبب منع النشاط الجوي والمدني والرياضي في منطقة الجولان وغور الأردن خلال عيد الفصح – عدم توفير فرصة للرئيس السوري لإطلاق النار على طائرات إسرائيلية». وختم فيشمان بالقول «السؤال الكبير (الذي يبقى) هل سيكون هناك استمرار لهذا الإصرار الأميركي في سوريا، وكيف سيرد ترامب إذا واصل الأسد تحديه».

في موازاة ذلك، اتصل عدد من المسؤولين الإيرانيين بنظرائهم السوريين، واعتبر رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة محمد باقري، خلال اتصال مع نظيره علي أيوب، أن «ما جرى في خان شيخون مشكوك به، وهو مؤامرة ضد الشعب السوري وقيادته». كذلك، اعتبر أمين المجلس الأعلى للأمن القومي علي شمخاني، أن العدوان الأميركي «دليل على انتصارات الحكومة السورية في الساحات السياسية والعسكرية». وأكد في اتصال مع مدير مكتب الأمن الوطني علي مملوك، أن هناك «إرادة صلبة» لدى إيران وروسيا وسوريا، في ما يخص التعاون المشترك على الساحة السورية.

على صعيد متصل، قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، خلال اتصال هاتفي مع نظيره الأميركي ريكس تيلرسون، إن الهجوم الأخير على سوريا «يخدم المتطرفين، ويخلق تهديدات إضافية للأمن الإقليمي والعالمي».

إلى ذلك، استمرت حملة الضغط الغربية ضد موسكو وطهران ودمشق، وترك مستشار الأمن القومي الجديد، هربرت رايموند ماكماستر، الباب مفتوحاً أمام تنفيذ مزيد من العمليات العسكرية في سوريا. وقال إن الإدارة الأميركية ستحاول «تغيير نظام الأسد وتدمير (داعش) في الوقت نفسه».

بدورها، اعتبرت المندوبة الأميركية لدى الأمم المتحدة نيكي هالي، أن احتمال إنجاح حل سياسي في سوريا «غير ممكن مع وجود الأسد» في الحكم. وأشارت في مقابلة مع قناة «سي إن إن» الأميركية، إلى أن لدى بلادها «العديد من الأولويات... ورحيل الأسد ليس الأولوية الوحيدة»، مضيفة إن هناك «محاولة لهزيمة (داعش)، وكسر النفوذ الإيراني في سوريا، والوصول إلى حل سياسي في النهاية». وشددت على أن بلادها مستعدة لفعل «أكثر» من الهجمات الأخيرة «في حال كان ذلك ضرورياً»، موضحة أن «الأمر متعلق بردود أفعال الجميع على ما يدور في سوريا». وبالتوازي، قال تيلرسون إن بلاده تتوقع أن تتخذ روسيا «نهجاً أشد» تجاه دمشق، و«تعيد التفكير» في تحالفها مع الأسد.

(الأخبار)

قلق إسرائيلي على التنسيق الجوي مع الجيش الروسي (أ ف ب)